



المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

الرصد الإستراتيجي

تقرير دوري يرصد ويلخّص ويترجم أهم الأبحاث والدراسات
الإستراتيجية الصادرة عن مراكز الأبحاث الدولية



المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

مؤسسة علمية متخصصة تُعنى بحقلي
الأبحاث والمعلومات وتهتم بالقضايا
الإجتماعية والإقتصادية وتواكب المسائل
الإستراتيجية والتحول العالمية المؤثرة

الاتجاهات العالمية 2040

الاستخبارات الوطنية الأميركية

تقييم مجتمع الاستخبارات الأميركية السنوي للتهديدات

الاستخبارات الوطنية الأميركية

خطوات لتمكين عملية أمنية إقليمية في الشرق الأوسط

برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

تلاشي "السلام الأميركي" في الشرق الأوسط

موقع ريسونسيبل ستيت كرافت

ردع إيران في المنطقة الرمادية

معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى

هاتف : 01/836610 فاكس : 01/836611 خليوي : 03/833438

البريد الإلكتروني :

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

الرمز البريدي :

Baabda 10172010

P.O.Box : 24/47

Beirut - Lebanon

الرصد الاستراتيجي

حزيران 2021



الرصد الاستراتيجي: تقرير دوري يرصد ويلخّص أهم الأبحاث والدراسات الاستراتيجية الصادرة عن مراكز الأبحاث الدولية

إعداد: مديرية الدراسات الاستراتيجية

صادر عن: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

تاريخ النشر: حزيران 2021

العدد: الرابع والعشرون

حقوق الطبع محفوظة للمركز

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز. وبالتالي غير مسموح نسخ أي جزء من أجزاء التقرير أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها، أو نقله بأية وسيلة سواء أكانت عادية أو الإلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية أو أقراص مدمجة، استنساخاً أو تسجيلاً أو غير ذلك إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة والاستفادة العلمية مع وجوب ذكر المصدر.

العنوان: بئر حسن - جادة الأسد - خلف الفانتزي وورلد - بناية الورود - الطابق الأول

هاتف: 01/836610

فاكس: 01/836611

خليوي: 03/833438

Postal Code: 10172010

P.o.Box:24/47

Beirut- Lebanon

E.mail: dirasat@dirasat.net

<http://www.dirasat.net>

فهرس المحتويات

- 5.....الاتجاهات العالمية 2040
- 11.....تقييم مجتمع الاستخبارات الأميركية السنوي للتهديدات
- 41.....خطوات لتمكين عملية أمنية إقليمية في الشرق الأوسط
- 51.....تلاشي "السلام الأميركي" في الشرق الأوسط
- 63.....ردع إيران في المنطقة الرمادية:

تلاشي "السلام الأميركي" في الشرق الأوسط¹

تشاس فريمان²، موقع ريسبونسيبل ستيت كرافت
(التابع لمعهد كوينسي الأميركي)، 8 حزيران 2021

الشرق الأوسط هو المكان الذي تلتقي فيه إفريقيا وآسيا وأوروبا، حيث ولدت الديانات الإبراهيمية الثلاث، وحيث توجد أقدس أماكنها. إنه المكان الذي تكون فيه موارد الكوكب الهيدروكربونية وفيرة ويمكن الوصول إليها، وحيث يمكن بسهولة قطع خطوط الاتصال الاستراتيجية التي تربط آسيا بأوروبا. ليس من المستغرب أن تكون المنطقة بؤرة رئيسية للخلاف بين القوى العظمى والتدخل العسكري، لكن هذا يتغير الآن. بعد قرون من هيمنة الأجانب - وآخرها من قبل الولايات المتحدة - تتم الآن إعادة تشكيل الشرق الأوسط بشكل أساسي من خلال التفاعلات بين البلدان داخله.

كان غزو نابليون لمصر عام 1798 بمثابة الجولة الافتتاحية للهجوم الغربي الصادم على غرب آسيا وشمال إفريقيا، قلب الحضارة الإسلامية. كما هو الحال في الثقافات الأخرى التي تعززت بنفسها، والتي تراجعت أيضاً بسبب الإمبريالية الأوروبية مثل الصين والهند، فإن الكثير من الديناميكيات السياسية في الشرق الأوسط مدفوعة الآن بردود الفعل القومية على الإهانات

¹ تعريب: مديرية الدراسات الاستراتيجية.

Chas Freeman, "The fadeout of the Pax Americana in the Middle East", Responsible Statecraft, June 8, 2021.

<https://responsiblestatecraft.org/2021/06/08/the-fadeout-of-the-pax-americana-in-the-middle-east/>

² تشاس فريمان هو دبلوماسي أميركي سابق، بدأ مسيرته المهنية كمترجم خاص للرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون خلال زيارته الشهيرة للصين عام 1972، ولاحقاً شغل منصب السفير الأميركي في السعودية بين 1989 و1992، وبين عامي 1993 و1994 شغل منصب مساعد وزير الدفاع للشؤون الأمنية والإقليمية. بعد تقاعده حصل على منصب إداري في المركز البحثي "المجلس الأطلنطي"، وكان مرشحاً باراك أوباما عام 2009 لشغل منصب "رئيس مجلس الاستخبارات الوطنية" لكن اضطر إلى سحب الترشيح بسبب انتقادات وهجوم اللوبي الإسرائيلي العنيف عليه واتهامه بمعاداة "إسرائيل".

الناجمة عن المواجهة المهيمنة مع الغرب. لكن بينما تستعيد الصين والهند، مثل اليابان قبلهما، ثقتهما بنفسيهما، لم يجد الشرق الأوسط بعد علاجًا لمخلفات ما بعد الاستعمار.

هناك اتفاق واسع النطاق في المنطقة على أنّ هذا العلاج يكمن في نوع من تجديد التقاليد الإسلامية وأنماط الحكم. لكن الإسلام منشق مثل اليهودية والمسيحية، ولا يوجد إجماع حول ماهية الحكم الإسلامي. هل قيم المجتمعات الإسلامية وسياساتها تحددها وتطبّقها ممارسات الشورى، أم أمير فاضل يعمل بالتنسيق مع العلماء، أم من قبل عالم دين في ولاية الفقيه؟ إذا تم تبني الديمقراطية البرلمانية، فهل هناك دور للنسخ الإسلامية للأحزاب الديمقراطية المسيحية في أوروبا؟ إذا كان الإسلام هو الجواب، فهل سيكون هو نفسه في كل من المجتمعات الشيعية والسنية؟ إذا لم يكن الإسلام هو الجواب، فهل العسكرية العلمانية لدول مثل مصر بديل قابل للتطبيق؟

الشرق الأوسط منطقة مقسّمة أكثر من معظم المناطق بسبب الحسابات الجيوسياسية للدول القومية الحازمة، والتقاليد الدينية المتنوعة، والمستويات المتضاربة من التسامح، وأنظمة الحكم المتناقضة، والهبات غير المتكافئة للموارد الطبيعية والثروة، ومستويات مختلفة من الكفاءة التكنولوجية، والتجارب التاريخية المميزة. هل مثل هذه المنطقة قادرة على صياغة النظام السلمي الذي تحتاج إليه لاستعادة كبريائها الحضاري المفقود والسموّ الثقافي؟ كيف ستنتهي الخلافات بين التدين والعلمانية، والتقاليد الأوتوقراطية والتطلّعات الديمقراطية، والاقتصاديات السياسية الريعية وتلك القائمة على المعرفة، والنظم الأبوية وتلك النسوية، والسلفية وأشكال الإسلام الأكثر اعتدالاً؟ وأين ستأخذ المنطقة الخصومات بين عرب الخليج وإيران و"إسرائيل" وإيران وتركيا أو "إسرائيل" والفلسطينيين وغيرهم من العرب؟ إعادة تشكيل الشرق الأوسط لم يتوقّف بعد عن الدوران.

بدأ ذلك عام 1948 عندما أعلن المستوطنون اليهود الأوروبيون في فلسطين التي تسيطر عليها بريطانيا قيام دولة "إسرائيل" على الأراضي العربية سابقاً. استيلاؤهم العنيف هناك سرّع انقلاب 1952 من قبل "حركة الضباط الأحرار" في مصر. وكان الانقلاب المصري هو الأول في سلسلة من الإطاحة الثورية للأنظمة العربية الحاكمة المتحالفة مع الغرب من قبل ضباط عسكريين مدعومين من أعضاء متطرّفين من الطبقات المتوسطة الدنيا. حدثت انقلابات مماثلة في العراق عام 1958، وسوريا عام 1963، وليبيا عام 1969. كما أطاحت الثورة الإسلامية عام 1980 في إيران، على الرغم من تنفيذها من قبل رجال الدين بدلاً من ضباط الجيش، بحكومة فرضتها ودعمتها القوى الغربية. لقد استبدلت ذلك النظام

بديمقراطية موجّهة ثيوقراطية معادية للولايات المتحدة. على الرغم من التفسيرات الغربية الخاطئة للانتفاضات العربية عام 2011 على أنّها تهدف إلى تثبيت الأشكال الأوروبية للديمقراطية، فقد عكست أيضًا التطلّعات إلى نبذ الاستعمار الجديد وإعادة تأكيد الهوية الإسلامية.

يكافح الشرق الأوسط لجعل الحضارة الإسلامية عظيمة مرة أخرى. لم تجد شعوب المنطقة المسلمة ضالّتها بعد، لكن من حماقة الافتراض أنهم لن يفعلوا ذلك. لقد حرّر الاضطراب العالمي الجديد الشرق الأوسط إلى حد كبير من التخلّلات الإيديولوجية والتخلّلات العسكرية للقوى العظمى. الجهات الفاعلة الرئيسية في المنطقة - مصر و"إسرائيل" والمملكة العربية السعودية وتركيا والإمارات العربية المتحدة - تبتعد بشكل متزايد عن رعاتها السابقين من القوى العظمى، الذين لم تعد مصالحهم وقيّمهم في كثير من الأحيان متوافقة مع مصالح دول المنطقة. وهم يقومون بتنويع علاقاتهم الدولية للتحوّط والاستفادة من التحوّلات في التوازنات العالمية للقوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

أوروبا التي كانت ذات يوم موطن القوى الإمبريالية المفترسة تفتقر الآن إلى الطموحات خارج حدودها. وتشير ظواهر مثل "البريكست" إلى أن أوروبا، بعيدًا عن توخّدها لممارسة إسقاط القوة، ستظلّ مهمّشة بسبب انشغالها بتناقضاتها الداخلية. لقد تخلّت روسيا وتركيا عن قرون من الجهود لتبني هويّات أوروبية. وتستعيد تركيا صلاتها بالشرق الأوسط الذي رفضها منذ أكثر من قرن. استأنفت روسيا دورها الدبلوماسي المستقل والفريد في المنطقة. وانضمت المملكة العربية السعودية إلى "إسرائيل" والإمارات في معارضة أي تقارب أميركي أو غيره مع إيران. ويسعى الثلاثي الإسرائيلي - السعودي - الإماراتي معًا إلى تخريب جهود إدارة بايدن لإحياء الاتفاقية النووية لعام 2015، التي قيّدت البرنامج النووي الإيراني حتى تخلّت عنه إدارة ترامب وألغته.

تزامن صعود الصين وانبعاث روسيا مع التدهور الاجتماعي والاقتصادي في أميركا المشلولة سياسيًا والضعيفة ماليًا، ولكنها الأقوى والأكثر حزمًا. استجابت الولايات المتحدة للانحدار الواضح في قوّتها وجاذبيّتها بالإعلان عن تكريسها لـ "تنافس القوى العظمى" والعمل على هذا الأساس من خلال تبني سياسات المواجهة تجاه كل من الصين وروسيا. وارتفعت التوتّرات العسكرية بين الولايات المتحدة والصين إلى مستويات شوهدت لآخر مرة في الخمسينيات من القرن الماضي، في حين أنّ التوتّرات مع روسيا أكبر من أي وقت مضى منذ

أوائل الثمانينيات. لكن تركيز "التنافس بين القوى العظمى" الجديد، على وجه الخصوص، ليس في الشرق الأوسط ولكن في أماكن أخرى - في أوكرانيا ومضيق تايوان.

وقد أدى هذا التحول في التركيز - خاصة على آسيا - إلى تقليل الاهتمام الأميركي بالشرق الأوسط. وكذلك كان النفور من المشاركة الأكبر في المنطقة نتيجة التدخلات الفاشلة في أفغانستان والعراق وليبيا والصومال وسوريا. ولكن هناك أسباب موضوعية أيضًا. لا تزال إمدادات الطاقة في الخليج العربي ضرورية للازدهار العالمي، لكن الاقتصاد الأميركي لم يعد يعتمد عليها بشكل مباشر. لقد جعل التكسير الهيدروليكي الولايات المتحدة المنتج البديل الفعلي في سوق النفط والغاز العالمي. ويبيد الأميركيون الآن القليل من الاهتمام بأي ازدهار بخلاف ازدهارهم. ونتيجة لذلك لا يزال عدد قليل ممن يرون الولايات المتحدة كحارس موثوق به للوصول العالمي إلى إمدادات الطاقة في الشرق الأوسط أو ضامنًا يمكن الاعتماد عليه للاستقرار السياسي في المنطقة.

كانت المهمة الأساسية للوجود البحري الأميركي في الخليج وبحر العرب هي حماية الوصول العالمي إلى إمدادات الطاقة في المنطقة، أما الآن فهي استهداف إيران. وقد أدى فشل التدخل العسكري الأميركي في التغلب على المقاومة الإسلامية في أفغانستان والنتائج الكارثية للتدخل الأميركي في العراق إلى التقليل من قيمة الحماية العسكرية الأميركية لدول المنطقة. قرار إدارة بايدن بخصوص الانسحاب من أفغانستان يعتبر تأكيدًا لتراجع أميركي مستمر.

إن مصير الرجل القوي المصري الراحل حسني مبارك، وعدم قدرة الولايات المتحدة على حماية الحكام السنة في البحرين ذات الأغلبية الشيعية، قد أضعف في وقت سابق الحكام الذين رأوا الولايات المتحدة ذات يوم على أنها الضامن النهائي لتشديد قبضتهم على السلطة بأنهم لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على واشنطن لدعمهم. لذلك بدأوا بتخفيف اعتمادهم على أميركا وشرعوا بإقامة علاقات سياسية واقتصادية وعسكرية جديدة مع القوى العظمى الأخرى، بما في ذلك الصين والدول المفككة في أوروبا والهند وروسيا وتركيا.

الولايات المتحدة هي القوة الخارجية الوحيدة القادرة على إبراز قوة عسكرية حاسمة في الشرق الأوسط. ومع ذلك فقد توقف الشركاء الأمميون الرئيسيون للولايات المتحدة في الشرق الأوسط عن اتباع نهج الولايات المتحدة في قائمة موسعة من القضايا. لا توجد علاقات بين إيران والولايات المتحدة سوى العداء. وشعر العديد من الأميركيين بالغضب من الانتهاكات الواضحة لحقوق الإنسان من قبل كل من "إسرائيل" والمملكة العربية السعودية. والعلاقات

مع مصر مضطربة بسبب قضايا مماثلة. والولايات المتحدة وتركيا متباعدتان من الناحية الجيوسياسية.

بينما تتراجع واشنطن عن الشرق الأوسط، عقلياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً، تتقدم دول المنطقة بشكل متأخر لتسوية نزاعاتها بمفردها، بما في ذلك محاولة تنحية المواجهات التي جعلت السياسات الأميركية منذ فترة طويلة معالجتها أمراً مستعصياً. ومع انحسار الدعم الأميركي، أدرك قادة المنطقة أنه يجب عليهم المجازفة السياسية لحماية مصالحهم. وهم يفعلون ذلك بشكل متزايد دون التنسيق مع الولايات المتحدة أو أي قوة عظمى أخرى خارج منطقتهم.

لذلك نشهد إعادة تشكيل مهمّة للعلاقات في المنطقة. وما تسمى "اتفاقات إبراهيم" هي أحد الأمثلة. وقد رُوّجت إدارة ترامب لها على أنها دليل على النفوذ الدبلوماسي الأميركي، لكن جرى تسهيل إعلانها من خلال المدّ المتصور لقوة ونفوذ الولايات المتحدة. وبدلاً من التأكيد على دور الولايات المتحدة كوسيط بين الدول العربية و"إسرائيل" واستغنوا عنه.. ثم هناك مثال مصالحة السعودية مع قطر والإمارات من ورائها. وربما تستيقظ مصر من الغيبوبة الدبلوماسية التي أوقعتها بها التشنّجات الداخلية على مدى العقد الماضي. والآن يبدو أنّ القاهرة تحاول إقامة علاقات مع العراق لتزويده ببديل للاعتماد على إيران. ويشارك العراق في التوسّط بمحادثات بين إيران والسعودية. ويتطلّع الأردن إلى مصر والعراق والمملكة العربية السعودية للحصول على دعم ضد "إسرائيل" التي لم تعد خاضعة لسيطرة الولايات المتحدة. ولدى تركيا الآن وجود عسكري في قطر يحيط بالمملكة العربية السعودية، ووجود في السودان، يحيط بمصر وبالمملكة أيضاً. هناك الكثير من الأمور تجري في الشرق الأوسط. تعتبر دول المنطقة الانسحاب الأميركي الذي طال انتظاره من أفغانستان تأكيداً على حاجتها لفظم نفسها عن الاعتماد على الولايات المتحدة أو القوى الخارجية العظمى الأخرى من أجل أمنها. ويبدو أن معظمهما الآن تستخدم علاقاتها مع الرعاة الخارجيين كمساعدة مؤقتة لانتقالهما إلى سياسات خارجية مستقلة تركز على المصلحة الذاتية الواقعية.

من جانبها، لا تزال الولايات المتحدة متورّطة في حيل القوى الإقليمية مع روابط عرضية أو مناسبة فقط لتنافس القوى العظمى. ويعكس استعداد الإمارات والبحرين لإقامة علاقات علنية مع "إسرائيل" اعترافهما بأن "إسرائيل" تحكم ولاء الجميع باستثناء عدد قليل من السياسيين الأميركيين ويمكن أن توفر تحوطاً فعالاً ضد انخفاض الدعم الأميركي في مواجهة إيران. كما أن بعض المعدّات العسكرية الإسرائيلية هي من أحدث المعدّات ويمكن أن توفر

بديلاً للمشتريات من الولايات المتحدة. وأدى إخضاع "إسرائيل" للفلسطينيين إلى تطويرها لأحدث الأدوات والتقنيات في العالم لتشغيل دولة بوليسية. لكل هذه الأسباب وجدت الحماية السياسية الإسرائيلية ومعدّاتها الآن سوقاً جاهزاً بين دول الخليج العربية.

لا تزال الغالبية العظمى من الجمهور في كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين تتأثر بشدة من سوء معاملة "إسرائيل" لسكانها العرب الأسرى. لكن كلتا الحكومتين رأتا الفوائد المحتملة لتأمين الدعم من اللوبي الأميركي الإسرائيلي وحكمتا على هذه الفوائد على أنها تفوق المخاطر السياسية المحلية للتعامل بشكل علني مع الدولة الصهيونية. على النقيض من ذلك، توصلت المملكة العربية السعودية وقطر في الوقت الحالي إلى نتيجة معاكسة.

عززت إدارة ترامب انفتاح الإمارات على "إسرائيل" بطائرات مقاتلة من طراز F-35 ومبيعات أسلحة أخرى. ودفعت المغرب نحو علاقات أكثر وضوحاً مع "إسرائيل" من خلال قطع العلاقات مع المجتمع الدولي والاعتراف من جانب واحد بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية المتنازع عليها. واشترت اعترافاً دبلوماسياً من السودان بـ "إسرائيل" بمزيج من تخفيف العقوبات ومساعدته في مجال التنمية.

الدول العربية التي وافقت على الانفراج مع "إسرائيل" فعلت ذلك بسخرية رداً على مخاوف سياسية مؤقتة وليست طويلة الأمد. إن متانة "اتفاقات أبراهام" أبعد ما تكون من تأكيدها. إنها تمنح "إسرائيل" فرصة لكي يُنظر إليها على أنها جزء طبيعي من المنطقة، وليس كغرسة أوروبية استعمارية جديدة فيها. لكن - كما توضح الأحداث الأخيرة - الإساءة الإسرائيلية المستمرة للعرب الذين تحكمهم تجعلها بغیضة من الناحية الأخلاقية حتى لأولئك الذين ليس لديهم ولع بالفلسطينيين. وقد امتد جزء من هذه العدوى إلى الولايات المتحدة، منهية أي احتمال للوساطة الأميركية بين "إسرائيل" وأعدائها.

لطالما خفف الدعم الأميركي غير المشروط عن الإسرائيليين أي ضغوط لاتخاذ قرارات بشأن كيفية تأمين مستقبلهم. لكن السياسات الأميركية والإسرائيلية بشأن القضايا الإقليمية لم تعد متطابقة. وتتضاءل بسرعة نسبة تأييد "إسرائيل" بين كل من اليهود والمتعاطفين السابقين من غير اليهود في الولايات المتحدة وأوروبا، وكذلك قدرة الولايات المتحدة على إعفاء "إسرائيل" من القانون الدولي وأحكام أولئك الذين أساء إليهم سلوكها.

اليهودية هي دين الأخلاق الإنسانية العالمية مع التركيز بشكل خاص على السعي لتحقيق العدالة. من وجهة نظر عدد متزايد من اليهود الأميركيين والأوروبيين أصبحت الصهيونية نفيًا

قومياً لليهودية - إيديولوجية عنصرية صريحة تسيء مظالمها غير المعقولة إلى قيم التقاليد اليهودية بدلاً من تأكيدها. يدين بعض اليهود المتدينين بالولاء لدولة "إسرائيل" ورموزها كشكل من أشكال عبادة الأصنام، وبالتالي، باعتبارها جريمة ضد التوحيد الذي لا هودة فيه، والذي يمثل العقيدة المركزية لليهودية.

نجحت الصهيونية الآن في جعل حل الدولتين مستحيلاً، وبموجبها، تتحكم "إسرائيل" في أربع فئات هم:

- المواطنون اليهود الذين يشاركون مشاركة كاملة في ديمقراطية "إسرائيل" المنقسمة.
- المواطنون العرب المهمشون سياسياً والذين يتعرّضون للتمييز.
- العرب الذين جعلتهم السياسات الإسرائيلية عديمي الجنسية ومحرومين من حقوقهم ويعيشون في ظل طغيان الاحتلال العسكري الموجّه ديمقراطياً.
- سكان غزة، ومعظمهم من اللاجئين من بقية فلسطين، الذين تحاصرهم "إسرائيل" وتخضعهم لحملة عسكرية وحشية تهدف إلى ترويع المعارضين وقتلهم.

غالبًا ما يُقارن هذا النظام الإسرائيلي بنظام الفصل العنصري. على أنه أكثر قسوة من نواح كثيرة. مثل نظام الفصل العنصري، يولّد تدريجياً نضالاً مدعوماً دولياً من أجل حقوق الإنسان والحقوق المدنية لأولئك الذين يضطهدهم هذا النظام. في هذا الصدد، ليس من المهم أن يبدأ "الملونون" أخيراً في لعب دور في السياسة الأميركية بشكل يتناسب مع أعدادهم ونسبة المشاركة في الاقتراع. هم يعرفون العنصرية عندما يرونها. وما يرونها في "إسرائيل" هو سلسلة لا نهاية لها من الأمثلة المروعة على ذلك.

لم تعد "إسرائيل" اليوم قادرة على الادعاء بمصداقية أنها تشارك القيم أو التطلّعات الأخلاقية للأميركيين أو الأوروبيين. إذا لم تعد "إسرائيل" إلى الأعراف الغربية فسوف تجد نفسها بمرور الوقت بعيدة عن الغرب كما هي بالفعل عن معظم العالم. بعد أن خلقتّها الصهيونية، تواجه "إسرائيل" الآن الحاجة إلى تجاوزها.

كما كان الحال في بعض الدول العربية ربما يشجّع عدم اليقين المتزايد بشأن استمرار الدعم الأميركي "إسرائيل" على الاعتراف بأنّ بقاءها على المدى الطويل يعتمد على المخاطرة من أجل السلام. يجب على كل من يهتم بمستقبل "إسرائيل" أن يأمل في ذلك. في غضون ذلك، يبدو أنّ قلة من الدول تميل إلى الاقتداء بالولايات المتحدة في مكافأة الخداع والتعنّت والعسكرة الدبلوماسية الإسرائيلية من خلال نقل سفاراتها إلى القدس، والاعتراف بضم

الأراضي الإسرائيلية التي طالما حُكم عليها بأنها تنتهك القانون الدولي، أو الاستمرار بغض الطرف عن معاناة الفلسطينيين أو انتهاكات "إسرائيل" لسيادة جيرانها.

تواجه المملكة العربية السعودية تحديات أكبر من "إسرائيل". بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1980، أصبحت العلاقات الأميركية السعودية مركزية لدور الولايات المتحدة في الشرق الأوسط مثل تلك التي مع "إسرائيل". لكن القرن الواحد والعشرين كان له أثر كبير على علاقات المملكة العربية السعودية مع كل من الولايات المتحدة وجيرانها. كانت الصفقة الأساسية التي أقيمت عليها العلاقات السعودية الأميركية هي العرض السعودي المتمثل بالوصول التفضيلي إلى النفط مقابل حماية أمن المملكة. لقد تجاوزت الأحداث والتغيرات في المواقف على الجانبين الآن هذا العقد. وتم تقليص العلاقات الأميركية السعودية التي كانت تدعم بعضها البعض في السابق.

كانت هجمات القاعدة في 2001/11/9 على الولايات المتحدة جزءاً من مساعيها للإطاحة بالنظام الملكي السعودي من خلال إجبارها على إنهاء الدعم الأميركي لها. وتحقيقاً لهذه الغاية، حرص مخططو الهجمات على أن يفوق عدد المواطنين السعوديين عدد المتعصّبين الآخرين المشاركين فيها. لقد نجحت هجماتهم على نيويورك وواشنطن بما يتجاوز أعنف أحلامهم.

لقد رسخت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر الإسلاموفوبيا في السياسة الأميركية وأنتجت "حرباً عالمية ضد الإرهاب" لا تنتهي بنتائج عكسية، والتي فاقت الأعداد بما لا يمكن وصفه في صفوف الإرهابيين المسلمين المناهضين أميركا من ذوي الانتشار العالمي. يواصل هؤلاء الإرهابيون محاولة إنهاء الشراكة الأميركية السعودية. وبرامج التعاون الوحيدة مع أي دعم عام حالي في الولايات المتحدة أو المملكة العربية السعودية هي تلك التي تهدف إلى إحباط المزيد من الهجمات الإرهابية على أي منهما أو كليهما.

عام 2003 أزالَت العمليات الأميركية لتغيير النظام العراق بلا مبالاة كموازن لإيران، ودمرت ميزان القوى في الخليج الفارسي ومكنت جمهورية إيران الإسلامية من ترسيخ نفوذها في العراق وسوريا ولبنان وغازة واليمن. وضعت الغزوات الإيرانية السعودية في موقف دفاعي ضد ما تعتبره محاولة لتطويقها. عندما اندلعت الاضطرابات بتشجيع من إيران في البحرين، شعرت السلطات السعودية وغيرها من دول مجلس التعاون الخليجي أنه لا يوجد بديل لها سوى حصنها.

ساعدت المحاولة السعودية للإطاحة بحكومة الأسد المدعومة من إيران في سوريا - مثل المحاولات الموازية لـ "إسرائيل" وتركيا والولايات المتحدة وغيرها - في تدمير سوريا كمجتمع منظم لكنها فشلت في الإطاحة بالأسد. وكانت النتيجة الرئيسية حتى الآن للحرب السعودية غير المجدية والمدمرة على المتمردین المدعومين من إيران في اليمن هي تشويه لسمعة المملكة على الصعيد الدولي.

أدت الجهود الإماراتية والسعودية لإجبار قطر على الاصطفاف معهما ضد إيران إلى إضعاف مجلس التعاون الخليجي دون تغيير علاقة التعاون الحذرة بين قطر وإيران. وباءت الجهود السعودية لمواجهة إيران في لبنان والعراق بالفشل حتى الآن.

نقذ المسؤولون السعوديون نيابة عن ولي العهد الأمير محمد بن سلمان جريمة القتل الدنيئة لجمال خاشقجي في إسطنبول، مما جعل "MBS" شخصية غير مرغوب فيها في أميركا وبقية الغرب. وتتطلع المملكة العربية السعودية الآن إلى الصين والهند وروسيا لتعويض تراجع الدعم الأميركي لأنها تنخرط في تعزيز الذات.

المفارقة هي أن القسوة التي أوقعت "بن سلمان" والمملكة في المتاعب في الخارج مكنت من إجراء إصلاحات طال انتظارها في الداخل. جعلت هذه الإصلاحات "MBS" يحظى بشعبية بين الشباب السعودي. وقد نال الكثير منهم تصفيق الغرب بحق. توسعت حريات نساء المملكة بشكل سريع، على الرغم من أنه من المسلم به أن الوتيرة أقل من وتيرة الحركة النسائية بتعزيز هيمنتها على المعايير الغربية المعاصرة. ولم تعد الأفلام والعروض الموسيقية ممنوعة. وتم إسكات العناصر الأكثر تمرّدًا في المؤسسة الدينية السعودية، مما سهّل المزيد من الإصلاح والانفتاح وكذلك مضاعفة الجهود لمحاربة الإسلام السياسي.

تجري إعادة هيكلة الاقتصاد لتوسيع التوظيف والصناعة السعودية. وتتم خصخصة الأصول المملوكة للدولة ذات العائد المنخفض نسبيًا. وتُعزّز قيمة أرامكو السعودية للترويج لمزيد من التحديث في المملكة. أخيرًا، بدأ التحوّل الذي بُشّر به منذ فترة طويلة إلى الاقتصاد القائم على المعرفة بدلًا من الاقتصاد القائم على النفط.

في الوقت نفسه، تستجيب المملكة العربية السعودية لانتكاسات سياستها الخارجية من خلال شق سياسة بمفردها. بعض مبادراتها تتطابق مع السياسات الأميركية والإسرائيلية والبعض الآخر لا. وقد بدأت المملكة حوارًا بالكاد سرّيًا مع كل من "إسرائيل" وإيران. ويبدو الآن أنها تسعى إلى التقارب مع الأسد وتجديد التعاون مع سوريا لموازنة النفوذ الإيراني في لبنان.

وبينما لا تزال المملكة العربية السعودية معارضة للإخوان المسلمين وعلى خلاف مع تركيا بشأن الرغبة في الإسلام الديمقراطي، يبدو أنها تسعى أيضاً إلى تحقيق قدر من الانفراج. مع الدعم الدبلوماسي المتأخر من الولايات المتحدة، تسعى المملكة العربية السعودية جاهدة لتخليص نفسها من تدخلها الفاشل في اليمن. لكن انسحابها من تلك الحرب رهن بإصرار الحوثيين على إذلال المملكة.

لا يمكن إنكار أنّ المملكة العربية السعودية فقدت مركزيتها في سياسة الولايات المتحدة تجاه الخليج الفارسي، واستُبدلت بالإمارات العربية المتحدة من نواحٍ عديدة في هذا الدور. الإمارات العربية المتحدة لديها انفتاح وديناميكية لا يمكن للمملكة أن تضاهيهما. إنه مجتمع مسلم متدين بشكل ملحوظ ولكنه متسامح بشكل ملحوظ، ويؤسس هيكله الفيدرالي التنوع الاجتماعي والاقتصادي. وقد تفوقت الإمارات على المملكة العربية السعودية كأكبر سوق تصدير للولايات المتحدة في غرب آسيا وشمال إفريقيا. وتجسد القوات الإماراتية روح المحارب العربي، مما جعلهم ذلك الرفيق المفضل للقوات الأميركية في ساحة المعركة والجهات الفاعلة المستقلة ذاتياً في أماكن بعيدة عن الإمارات مثل ليبيا.

وفي الوقت نفسه، فإن خطوة أبو ظبي البراغماتية التراجعية عن الحروب في سوريا واليمن واستعدادها للكشف عن علاقاتها السرية طويلة الأمد مع "إسرائيل" أكسبتها سمعة الإدارة الذكية والمستقلة لشؤونها الخارجية. وعلى الرغم من أنها أصبحت أقرب إلى الولايات المتحدة، فإنّ علاقات الإمارات مع الصين والهند وروسيا تحسّنت أيضاً. وعلى غرار منافستها الخليجية، قطر، تسعى الإمارات العربية المتحدة إلى تعزيز استقلالها من خلال تنمية علاقات ودية مع أكبر مجموعة ممكنة من القوى العظمى. لكنها على عكس قطر لا تسعى إلى وضع نفسها دبلوماسياً بين المملكة العربية السعودية وإيران.

اجتمعت "إسرائيل" والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة بشأن مخاوف تجاه إيران. لكن مخاوفهما ليست هي نفسها. تخشى "إسرائيل" أن تفقد احتكارها الإقليمي للأسلحة النووية. وتشعر المملكة العربية السعودية بالتهديد من الغلبة السياسية الإيرانية في سوريا ولبنان والعراق، وتشجيعها لتكريس الشيعة على السلطة في البحرين، ودعمها لتحدي الحوثيين للهيمنة السعودية على اليمن. تشترك الإمارات العربية المتحدة في بعض المخاوف السعودية، لكنّها تعارض أيضاً امتلاك إيران للجزر التي تقع على جانبي الممر الاستراتيجي من الخليج الفارسي إلى بحر العرب: أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى.

تنبع مخاوف العرب من إيران من التاريخ بقدر ما تنبع من التطورات التي حدثت منذ الثورة الإسلامية عام 1980. فقد سيطرت سلسلة من الإمبراطوريات الفارسية من وقت لآخر على الجانب العربي وكذلك الجانب الإيراني من الخليج. كما أن إيران شيعية ومن ثم توصف بأنها دخيلة وغير عربية.

ليس لدى دول المنطقة ذكريات عزيزة عن الشاه باعتباره "الشرطي" الإقليمي الذي عينته أميركا أو عن تعاون "إسرائيل" مع إيران ضد المصالح العربية خلال الحرب الباردة. وقد تم تشكيل مجلس التعاون الخليجي لمواجهة تصدير كل من التشيع والديمقراطية الموجهة ثيوقراطيًا التي أعقبت الإطاحة بالشاه. وقضت نهاية الحرب الباردة على المعارضة الاستراتيجية للاتحاد السوفياتي كمبرر للتعاون بين الولايات المتحدة و"إسرائيل" وكذلك التعاون الأميركي السعودي. كان عراق صدام حسين عدوًا ذا مصداقية لـ "إسرائيل"، لكن محاولة العراق ضم الكويت أدت إلى تدميره من قبل التحالف بقيادة الولايات المتحدة والسعودية عام 1991، مع انتهاء الحرب الباردة. في هذا السياق الفريد، كانت الجمهورية الإسلامية المحاربة حديثًا علاجًا مفيدًا لـ "متلازمة الحرمان من العدو" في "إسرائيل". كان للعداء المشترك لإيران ميزة إضافية تتمثل بتوفير مبرر معقول لاستمرار الدعم الاستراتيجي الأميركي لـ "إسرائيل".

من جانبها، رأت إيران أنّ النظام الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، بما في ذلك دعم أميركا الثابت لـ "إسرائيل" العدوانية، معاد للمسلمين وغير عادل. وإيران مستاءة من التدخلات السابقة للولايات المتحدة في سياستها، وهي تجد القضية الفلسطينية وسيلة مقنعة ومفيدة في الوقت نفسه لإقامة قضية مشتركة مع أعداء "إسرائيل" وأميركا. إنّ الفخر بالثقافة الإيرانية والاستياء من الإيذاء من قبل عدد من القوى العظمى يحفز المقاومة الإيرانية الشرسة للإملاءات الخارجية أو الهيمنة أو التحديات الواضحة للهوية الوطنية. إيران خصم معقد للغاية. بالنظر إلى الاحترام، تتمتع طهران بتقليد ألفي من الحكمة الحكيمة في الحكم يمكن الاعتماد عليها. لكن السياسات الأميركية المتمثلة في ممارسة أقصى قدر من الضغط والحد الأدنى من الاحترام لم تترك أي مجال للحلول غير العسكرية للمشاكل الأمنية.

أظهرت إيران صمودًا ملحوظًا في مواجهة التهديدات الإسرائيلية والأميركية المتكررة بقصفها، واغتيال كبار مسؤوليها، والدعم الخارجي السافر لتطلعات "مجاهدي خلق"، وهي حركة فاشية إيرانية، لتغيير النظام. قد تبدو التحديات العدوانية للثورة الإيرانية لتبرير تطويرها للرادع النووي. لدى إيران برنامج نووي ورثته عن الشاه، لكن الجمهورية الإسلامية أدانت مرارًا

الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل الأخرى ووصفتها بأنها غير أخلاقية. حتى الآن لا يوجد دليل على أنها تتبع "إسرائيل" في السرّ ببناء مثل هذا الرادع.

وسّعت إيران بقوة نفوذها الإقليمي من خلال ملء الفراغ السياسي الذي خلّفته الجهود الأميركية الفاشلة لتغيير النظام في العراق وسوريا. كما أفاد توسّع الولايات المتحدة في "الحرب العالمية على الإرهاب" إلى كل ركن من أركان العالم الإسلامي تقريباً إيران، وإن لم يكن بقدر المتطرّفين السنّة. أصبح عملاء إيران يشملون الحكومة في سوريا، والميليشيات في العراق ولبنان واليمن، والمتعاطفين في البحرين، والديمقراطيين الإسلاميين السنّة في حركة حماس المحاصرين في غزة. الغزوات الإيرانية تهدّد "إسرائيل" وتتحدّى جيرانها العرب السنّة. ولكن، مثل الجهات الفاعلة الإقليمية الأخرى، لم تعد إيران تركّز كثيراً على تنافس القوى العظمى من أجل الهيمنة في الشرق الأوسط بقدر ما تركّز على التفاعلات مع الدول والشعوب الأخرى في منطقتها، بما في ذلك منافستها التقليدية تركيا.

خلال النظام العالمي الثنائي القطب الفريد للحرب الباردة، كان من الممكن تحليل الشرق الأوسط من حيث توافق الدول المكوّنة له مع قوة عظمى واحدة أو أخرى. لا يصلح الآن أي بناء تحليلي شامل أو بسيط. كل أمة في المنطقة تتعامل بشفافية مع نفسها، وليس عبر الراعي الخارجي. وقد أتاح ذلك فرصة لموسكو للعب دور متجدّد في المنطقة، وهذه المرة بصفقتها عضواً دبلوماسياً ماهراً وميسراً للجهود الإقليمية لتقليل التوترات وحل النزاعات. بدأت بكين أيضاً بتقديم خدماتها كموفّق، على الرغم من عدم تحقيق نتائج ملحوظة حتى الآن.

عودة ظهور روسيا وزيادة انخراط الصين في الدبلوماسية الإقليمية لا يجعلان الشرق الأوسط ساحة "تنافس القوى العظمى" التي يصرّ العسكريون الأميركيون على ضرورة تحديدها للشؤون الحالية. تنشأ الآن المنافسات الثنائية والديناميكيات الدبلوماسية في الشرق الأوسط في المنطقة نفسها. إن "السلام الأميركي" يتراجع إلى التاريخ، جنباً إلى جنب مع العصر الذي يمكن فيه لأي قوة عظمى خارجية الإشراف على التفاعلات بين العرب والإيرانيين والإسرائيليين والأكراد والأتراك. الشرق الأوسط الآن ليس مجال نفوذ لأحد بل مجال نفوذه الخاص به.